

الحلقة الأولى

سلسلة الموعدة على الجبل

برنامج أنوار كاشفة

صديقي المستمع، ما هو الهدف الذي تسعى له في حياتك؟ بالطبع إن لكل إنسان هدفاً يود تحقيقه. فالبعض يرغب في تحقيق ثروة مادية، وآخرون يسعون نحو تحصيل المزيد من العلم والشهادات. وآخر قد يسعى نحو الشهرة. والبعض قد يقنع بما هو عليه. وآخرون مع الأسف يركضون وراء الملذات وشهوات الجسد، ويعيشون حياة فارغة بلا معنى.

هل تعلم يا صديقي أن المخلص يسوع المسيح وضع لنا أهدافاً سامية وعملية في نفس الوقت؟ وهل تدري أن هذه الأهداف هي أهداف يستطيع أن يتبناها أي إنسان؟ فهي ليست بحاجة إلى إمكانيات معينة أو جهد خاص يبذله المرء، إذ هي متوفرة للجميع. قد تستغرب هذا الكلام مستمعي، لكن هذا ما ستلاحظه عندما تتابع الاستماع إلى حلقتنا هذه.

كان المخلص يسوع المسيح يعلم تلاميذه أو أتباعه، كاشفاً لهم معاني الحياة الحقة، وما هي الأهداف التي يجب أن يسعوا إليها. ولعل أفضل مكان في الإنجيل المقدس نستطيع فيه تلمس تعاليم المسيح هذه، هي ما جاء في موعظته على الجبل. ولقد دون لنا البشير متى تفاصيلها في أصحابات ثلاث. والملاحظ أن العظة على الجبل تبدأ بتسع تطويبات، تبدأ كل واحدة منها بكلمة طوبى. وتعني كلمة طوبى يا لغبطة و يا لسعادة أو يا للبركة التي يحصل عليها الإنسان. أي يا لغبطة أو سعادة الشخص الذي يعيش هذا المستوى من الحياة، ويسعى لتحقيق هذه الأهداف السامية في حياته.

بدأ المسيح التطويبات بقوله: « طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات». ماذا قصد المسيح بتعبير المساكين بالروح؟ ومن هم المساكين بالروح؟ إن كلمة مسكين من الناحية اللغوية تعني الشخص الفقير المعدم، والمظلوم الذي سلبت حقوقه. والمساكين هو الشخص الذي لا سند أرضي له، يضع ثقته الكاملة ورجاءه التام على الله. أما المساكين روحياً فهو الشخص الذي اكتشف فقره الروحي الكامل، ولذلك وضع ثقته الكاملة في الله. إن المسيح هنا لم يطوب الفقير مادياً كما قد يظن البعض. لأن هدف المسيح هو معالجة أساس حياة الإنسان من الداخل أولاً. على كل حال إن الفقر المادي ليس بالأمر الجميل لكي يمتدحه المسيح.

إن الفقر الذي يمتدحه المسيح إذن هنا هو الفقر الروحي. أي إحساس الإنسان بفقره الروحي الكامل وحاجته الكاملة إلى الله. وهذا ينطبق على المرء سواء كان من الناحية المادية فقيراً أم غنياً. إن المسكين روحياً والذي يلجأ إلى الله طالباً المعونة والقوة هو الذي يمدحه المسيح هنا. لقد قال المسيح: « **طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات** » (بشارة متى ٥: ٣). فما هي علاقة ملكوت السموات أو ملكوت الله بالمساكين روحياً؟

لكي نجيب عن هذا السؤال علينا أن نعلم أولاً ماذا قصد المسيح بملكوت السموات أو ملكوت الله؟ تعود كلمة ملكوت إلى فعل مَلَكَ، أي صاحب السلطة العليا، أو القادر على التصرف بأمر ما. والملكوت هو المكان الذي ينشر صاحب السلطان الملك عليه، أو الزمان الذي يكون فيه سائداً. وأيضاً قد يكون الملكوت وضعاً أو حالة معينة تخضع لسلطان الملك وسيادته. وهكذا نقول إن ملكوت الله أو ملكوت السموات هو سلطان الله أو سلطان السماء. وبالطبع إن هذا السلطان أو هذه السيادة لا بد أن تكون علينا نحن البشر.

نعود الآن إلى السؤال: ما هي علاقة ملكوت السموات أو ملكوت الله بالمساكين روحياً؟ لعل من أول شروط دخول الإنسان إلى ملكوت الله، وأن يصبح الله سائداً على حياته، هو أن يقر بفقره الروحي الكامل. وأن يعترف بالتالي بعجزه الكامل عن التقرب من الله على أساس أعماله الصالحة، أو أية صفة يتحلّى بها. ولقد عرفنا قبل قليل أن المسكين روحياً هو الفقير روحياً، والذي يعلم مدى حاجته إلى الله. ويتأكد بالتالي أنه عاجز بدون الله وبحاجة إلى قوته ونعمته. أي أن المسكين روحياً هو الشخص الذي حقق أول شرط من شروط الدخول إلى ملكوت الله.

ولهذا مدح المسيح المساكين بالروح وقال لهم: « **طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات** ». أي يا لغبطة و يا لسعادة و يا لبركة هذا الشخص الذي تبين له فقره الروحي الكامل وعجزه التام. وهكذا وضع ثقته الكاملة في الله، الثقة التي تجعله أن يكون مواطناً في ملكوت السموات أو ملكوت الله. وعندما يدرك الإنسان وضعه الحقيقي، ومدى فقره الروحي وحاجته إلى نعمة الله، لا بدّ له أن يلجأ إلى المسيح المخلص. ويصبح المسيح عندها ملكاً على حياته، ويدخل بالتالي إلى ملكوت الله. لقد تنازل المسيح من السماء وهو كلمة الله الأزلي لهدف إنقاذ الإنسان، ولكي ينقله إلى رحاب ملكوته. ولهذا مات المسيح على الصليب فداء للجنس البشري، وقام من بين الأموات غالباً منتصراً.

وفي ملكوت الله لا بد أن يجد الإنسان الغفران الكامل والسلام الحقيقي والطمأنينة الأكيدة. إن ملكوت الله هو كما وصفه الرسول بولس « بر وسلام وفرح في الروح القدس». (الرسالة إلى رومية ١٤: ١٧ب) فهل تتوق يا صديقي أن تدخل إلى ملكوت الله؟ أو ليس هذا هدفاً عظيماً وسامياً على الإنسان أن يسعى من أجله؟ وكما ذكرنا في البداية هناك أهداف متنوعة عديدة قد يسعى من أجلها الإنسان. لكن الهدف الصحيح هو الذي يعطي الإنسان الاكتفاء الداخلي، والطمأنينة الحقة. وليس هذا فحسب، بل يستمر معه إلى الأبد. إن الدخول في ملكوت الله يعني أن يصبح الإنسان من أولاد الله، وأن يعيش بالتالي إلى الأبد في محضر الله. فما أجمله من هدف.

إن الطريق للدخول إلى ملكوت الله يبدأ كما قلنا، بأن يعرف الإنسان حقيقة نفسه الفقيرة روحياً والمحتاجة إلى نعمة الله. فما عليك يا صديقي إذن إلا أن تطلب من الله أن يكشف لك حقيقة نفسك. فهل تراك تخطو هذه الخطوة الهامة؟ وتأتي بالإيمان إلى المخلص المسيح؟ وعندها لا بد أن تسمع قول المسيح لك: « طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات». أي يا لغبطتك ويا لسعادتك، وما أعظم البركة التي حصلت عليها. فهل تكون من أولئك الذين ينالون الطوبى؟